وإنك لعلى خلق عظيم

سيرة عظيم الأخلاق (٣٠)

وفـــــاة النبـــــي ﷺ

ونحن على مشارف النهاية لسيرة المصطفى ﷺ، هذه السيرة العطرة، هذه الرياض النضرة، فبين نفحات العطر وومضات الإشراق نستكمل سيرة عظيم الأخلاق محمد ﷺ.

وها هو ﷺ في أيامه الأخيرة، وها نحن اليوم نستكمل أحداث هذه الساعات الأخيرة من حياة المصطفى ﷺ.

شعر رسول الله ﷺ بوعكة المرض الذي نزل به أواخر صفر من السنة الحادية عشرة، وبدأت آلامه صداعًا حادًا عاناه في سكون حتى ثقل عليه الوجع وهو في بيت زوجته ميمونة فلم يستطع الخروج.

ومرض الرسول ﷺ ثلاثة أو أربعة عشر يومًا، وأذن له نساؤه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها في أسبوع مرضه الأخير لما رأين من ارتياحه إلى خدمتها له، فخرج من عند ميمونة رضي الله عنها بين الفضل بن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان الألم قد أوهى قواه فلم يستطع مسيرًا، فانتقل معصوب الرأس تخط قدماه على الأرض حتى انتهى إلى بيتها، ولما اشتد عليه الوجع، قال ﷺ: **"هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ"**[١]، ولكن عاد النبي ﷺ إلى فراش السقام وهو الذي لم يتعود أن يركن إليه أو يهدأ فيه.

كانت هناك مهام كثيرة ترتقب صحوه ليبت فيها، ولكن أعباء العلة حبسته في قيودها فلم يستطع منها فكاكًا، وأصبح ﷺ وقد اقترب أجله وهو في أيامه الأخيرة ﷺ، وأخذ يوصي الأمة وأصحابه رضي الله عنهم.

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٧١٤).

فها هنا أوشك النبي ﷺ أن يتركنا نواجه بيداء الحياة، فيريد منا ﷺ بأبي هو وأمي أن يضيء لنا الظلمات ويمهد لنا الطريق ويدلنا على الطريق المستقيم.

فمن وصاياه في آخر ساعاته

أولا: وصيته لأبي بكر رضي الله عنه:

أخذ يوصي لأبي بكر إشارة إلى استخلافه، فأوصى أن تغلق الأبواب المفتوحة على المسجد إلا باب أبي بكر رضي الله عنه.

وكان ﷺ حريصًا أن يُصلي أبو بكر رضي الله عنه بالناس، فقال في مرضه: "**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، قَالَتْ عَائِشَةُ: قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ، فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، قَالَتْ عَائِشَةُ لِحَفْصَةَ: قُولِي لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، فَمُرْ عُمَرَ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، فَفَعَلَتْ حَفْصَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَهْ، إِنَّكُنَّ لَأَنْتُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ لِلنَّاسِ، قَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: مَا كُنْتُ لِأُصِيبَ مِنْكِ خَيْرًا**"[1]، وكان من وصاياه ﷺ قوله: "**إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ**"[2].

لم ينس ﷺ أبا بكر وصحبته، وإنفاقه، وحادثة الإفك وموقفه، والإسراء والمعراج وتصديقه رضي الله عنه.

ثانيا: وصيته للأنصار:

وعصب على رأسه حاشية بُردٍ فصعد المنبر، و لم يصعده بعد ذلك اليوم، فحمد الله

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٧١٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٤١٨).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٦٥٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٢٣٨٢).

وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: "**أُوصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي**[1]**، وَقَدْ قَضَوْا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ**"[2].

لم ينس ﷺ الأنصار وما فعلوه من نصرة، وتضحية، وإيمان ﷺ.

ثالثا: وصيته بالصلاة:

ومن وصاياه ﷺ: "**الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ، فَمَا زَالَ يَقُولُهَا حَتَّى مَا يَفِيضَ بِهَا لِسَانُهُ**"[3].

رابعا: النهي عن الصلاة بالمساجد التي فيها قبور:

ومن ذلك أنه كان يخشى ﷺ أن ترتكس أمته فتعلق بالأشخاص والأضرحة كما ارتكس أهل الكتاب الأولون، وشدته في إخلاص التوحيد لله هي التي جعلته وهو يعالج سكرات الموت يرهب المسلمين من هذا المزلق.

فكان على وجهه طرف خميصة فإذا اغتم كشفها عن وجهه، وهو يقول: "**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**"، تقول عائشة رضي الله عنها: "**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**"[4]، يقول المحققون هذه الكلمات قالها في آخر دقائق حياته الشريفة.

ثم أتت الساعات الأخيرة في حياة المصطفى ﷺ

فاشتد عليه الوجع؛ ذلك لمضاعفة أجره ورفع درجته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "**دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَمَسِسْتُهُ بِيَدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ، فَقُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ**

---

[1] قال الحافظ بن حجر حفظه الله في فتح الباري (١٢١/٧): يُرِيد أَنَّهُم مَوضِع سِرّه وأَمانَته.

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٧٩٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه بلفظ قريب (٢٥١٠).

[3] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (١٦٢٥)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٦٢٥).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٨١٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٥٣١).

اللَّهِ ﷺ: أَجَلْ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، مَرَضٌ فَمَا سِوَاهُ؛ إِلَّا حَطَّ اللَّهُ لَهُ سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"[1].

تقول عائشة رضي الله عنها: "إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي، وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ: نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ"[2]، وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها: "مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنَّهُ لَبَيْنَ حَاقِنَتِي وَذَاقِنَتِي، فَلَا أَكْرَهُ شِدَّةَ الْمَوْتِ لِأَحَدٍ أَبَدًا بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ"[3]، والحاقنة: ما أسفل الذقن ، والذاقنة: ما علا منها.

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها: "كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَحِيحٌ: إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخَيَّرَ، فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ، فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى، فَقُلْتُ: إِذًا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى"[4].

وكان عندما اشتد عليه المرض وثُقل، قالت فاطمة رضي الله عنها: "وَا كَرْبَ أَبَاهُ، فَقَالَ لَهَا: لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٦٦٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٧١).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٤٩).

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٤٦).

[4] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٦٣)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٤٤).

دَعَاهُ، يَا أَبَتَاهْ، مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ، يَا أَبَتَاهْ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ"[١].

ومات النبي ﷺ في يوم الاثنين سنة ١١ هجرية، وكان عمره ثلاثة وستون عامًا[٢].

وتسرب النبأ الفادح من البيت المحزون وله طنين في الآذان وثقل ترزح تحته النفوس وتدور به البصائر والأبصار، وشعر المؤمنون أن آفاق المدينة أظلمت فتركتهم لوعة الثكل حيارى لا يدرون ما يفعلون، وتفطرت قلوب المؤمنين، ولِمَ لا؟! وقد كانت الجمادات تتصدع من فراق الرسول ﷺ، فكيف بقلوب المؤمنين؟! فلما فقده الجذع الذي كان يخطب إليه؛ صاح كما يصيح الصبي[٣].

كان الحسن رضي الله عنه يقول: **"يَا عِبَادَ اللَّهِ، الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ ﷺ شَوْقًا إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللَّهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَى لِقَائِهِ"**[٤].

يقول أنس رضي الله عنه: **"لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ"**[٥].

يقول ابن رجب رحمه الله: **"اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فَخُولِطَ، ومنهم من أقعد فلم يطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية، وقال: إنما بعث إليه"**[٦].

وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد أخرجه الخبر عن وعيه، فقال رضي الله عنه: **"إِنَّ رِجَالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله تُوُفِّيَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَغَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ قِيلَ: قَدْ مَاتَ، وَاللَّهِ لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ فَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ**

---

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٦٢).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٦٦)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٣٥٢).

[٣] الحديث رواه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٥٨٣).

[٤] أخرجه ابن حبان رحمه الله في صحيحه (٦٥٠٧)، وقال الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء (٤/٥٧٠): حسن غريب.

[٥] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣٦١٨)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣٦١٨).

[٦] لطائف المعارف لابن رجب رحمه الله (١/١١٠).

وَأَرْجُلُهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ مَاتَ، وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رسول الله ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ مُسَجًّى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْدُ حِبرَةٍ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ ذُقْتَهَا، ثُمَّ لَنْ يُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا، ثُمَّ رَدَّ الثَّوْبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ! فَأَنْصِتْ، فَأَبَى إِلا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ لا يُنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ، وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لا يَمُوتُ، ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فو الله لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نزلت على رسول الله ﷺ حَتَّى تَلاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ، قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ يَتْلُوهَا فَعُقِرْتُ حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الأَرْضِ، مَا تَحْمِلُنِي رِجْلايَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ مَاتَ"[١].

روي عن عمرو بن الحارث قال: "مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً"[٢].

---

[١] أخرجه الطبري رحمه الله في تاريخه (٣/٢٠١).

[٢] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٦١).

ولما أرادوا أن يُغَسِّلوا النبي ﷺ قالوا: "**وَاللَّهِ مَا نَدْرِي، أَنُجَرِّدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا، أَمْ نَغْسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا؛ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَذَقْنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، لَا يَدْرُونَ مَنْ هُوَ: أَنِ اغْسِلُوا النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَصُبُّونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيُدَلِّكُونَهُ بِالْقَمِيصِ دُونَ أَيْدِيهِمْ**"[1]، ولُحِدَ النبي ﷺ في قبره ونصب اللبن عليه نصبا[2]، ودخل قبره العباس، وعلي، والفضل رضي الله عنهم، فلما رجعوا قالت فاطمة رضي الله عنها: "**يَا أَنَسُ، أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ**"[3].

قال الحافظ: "**وَأَشَارَتْ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِذَلِكَ إِلَى عِتَابِهِمْ عَلَى إِقْدَامِهِمْ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ مَا عَرَفَتْهُ مِنْهُمْ مِنْ رِقَّةِ قُلُوبِهِمْ عَلَيْهِ لِشِدَّةِ مَحَبَّتِهِمْ لَهُ، وَسَكَتَ أَنَسٌ عَنْ جَوَابِهَا رِعَايَةً لَهَا، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: لَمْ تَطِبْ أَنْفُسُنَا بِذَلِكَ إِلَّا أَنَّا قَهَرْنَاهَا عَلَى فِعْلِهِ امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ**"[4]، يقول أنس رضي الله عنه: "**وَمَا نَفَضْنَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَيْدِيَ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا**"[5]، يقول النبي ﷺ: "**إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ**"[6].

صدقت يا رسول الله ﷺ، فبموته انقطع الوحي وظهر الفساد، ولأن من الإيمان أن نحب النبي ﷺ أكثر من كل شيء، يقول ﷺ: "**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**"[7].

---

[1] أخرجه أبي داود رحمه الله في سننه (٣١٤١)، وصححه ابن عبد البر رحمه الله في التمهيد (٢٤/٤٠٠).

[2] أخرجه ابن حبان رحمه الله (٦٦٣٥)، وقال الألباني رحمه الله في أحكام الجنائز (١٩٥): إسناده حسن وله شاهد.

[3] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٤٦٢).

[4] فتح الباري لابن حجر رحمه الله (٨/١٤٩).

[5] أخرجه ابن ماجه رحمه الله في سننه (١٦٣١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه (١٦٣١).

[6] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٦٧١٨)، وقال الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (١١٠٦): صحيح بمجموع طرقه.

[7] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (١٥)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٤).

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلَّدِ ... وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرُ مُخَلِّدِ

فَإِذَا ذَكَرْتَ مُصِيبَةً تَسْلُو بِهَا ... فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

نعم عباد الله، نحبه ﷺ حبا شديدا صحيحا، حبا يجعلنا نتبع سنته، يقول ﷺ وهو جالس بين أصحابه: "**وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا، قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ، فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ، أَلَا هَلُمَّ؟ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا، سُحْقًا**"[١].

---

[١] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٩).